المحاضرة رقم 03+ 04: الرواد والتجربة الشعرية الجديدة 1+2

عد الشعر العربي المعاصر بمثابة المولود الجديد للأعمال الأدبية التي كانت قائمة على التقليد والمحاكاة، من هذا المنطلق حاول الشاعر المعاصر كسر القيود –التي حسب منظوره الفكري- كانت السجن النفسي والفني الذي لازم القصائد العمودية وجعلها تسير نحو خط مجهول من حيث القيم التحررية؛ فالشاعر المعاصر أصبح يدرك أن الأسلوب القديم بطريقته الملتزمة وشكله القديم لم يعد قادرا على استيعاب مفاهيم الشعر الجديد، هذا الأمر دفعه إلى تجديد القصيدة باستحداث شكل آخر مغاير في البناء الشكلي عن القصيدة العمودية أطلق عليه مسمى "الشعر الحر"، هذا الأخير الذي كان بمثابة نقلة فنية وحضارية عامة في الشعر العربي، وقد سمي أيضا بالشعر الجديد/ شعر التفعيلة.

من هنا سعى رواد التجديد في الشعر العربي المعاصر إلى حمل لواء التغيير والتجديد بكسر كل القيود المفروضة على القصيدة والانتقال بها من الجمود إلى الحيوية والانطلاق، محدثين بذلك ثورة نوعية وتفجيرا للطاقات الإبداعية التي كانت حبيسة الشكل العام والهندسي الذي كانت القصيدة العمودية قائمة عليه.

1-الشعر الحر (مفهومه عند الرواد):

لعل من أبرز رواد الشعر الحر نجد **نازك الملائكة** هاته الأخيرة التي حددت ماهية الشعر الحر بقولها: "هو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت وإنما يصح أن يتغير في عدد التفعيلات من شطر إلى شطر، ويكون هذا التغير وفق قانون عروضي يتحكم فيه"، مؤكدة في ذلك أن "أساس الوزن في الشعر الحر أنه يقوم على وحدة التفعيلة، والمعنى البسيط الواضح لهذا الحكم أن الحرية في تنويع عدد التفعيلات أو طول الأشطر تشترط بدءا أن تكون التفعيلات في الأشطر متشابهة تمام التشابه فيكتب الشاعر من بحر الكامل ذي التفعيلة المكررة أشطرا تجري على هذا النسق مثلا:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

ويمضي على هذا النسق، حرا في اختيار عدد التفعيلات في الشطر الواحد، غير خارج على القانون العروضي لبحر الرمل جاريا على السنن الشعرية التي أطاعها الشاعر العربي منذ الجاهلية حتى يومنا هذا"؛ وانطلاقا من قولها نستشف أن الشعر الحر شعر ينظم وفق القواعد العروضية للقصيدة لكنه يخرج عليها من ناحية الشكل، فالوزن موجود والتفعيلة كذلك ثابتة لكن الاختلاف تجلى في الشكل الخارجي من خلال عدم التقييد بنظام البيت التقليدي، والقافية الموحدة، ويتجلى الاختلاف أيضا في حرية الشاعر في اختيار عدد التفعيلات في الشطر الواحد وذلك حسب الدفق الشعوري عنده، فقد يتكون مثلا الشطر من تفعيلة واحدة وقد يصل إلى أقصاه إلى 6 تفعيلات (كمفاعيلن/ مستفعلن)، فالنقاد لم يحددوا عدد التفعيلات في الشطر الواحد، وإنما تركت الحرية للشاعر في تحديدها وفقا للدفقات الشعورية.

ومن رواد التجديد في الشعر المعاصر أيضا نجد **بدر شاكر السياب**، والذي تحدد مفهوم الشعر الحر عنده انطلاقا من كونه يعد: "انعكاسا للحياة، حياة الشاعر الخاصة وحياته الجماعية"؛ وهذا يعني أن الشعر عنده يشكل تعبيرا عن حالة النفس بكل تعقيداتها، وأن الشاعر يخطط للغد وينظر للأشياء قبل وقوعها، وكأنه يتنبأ بها، فيرى العالم لا كما هو، بل كما ينبغي أن يكون، وبذلك تتحدد مهمة الشعر، فتتخذ صنعة النبوة أو الرسالة البناءة المحررة.

2-نشأة الشعر الحر ومسألة الريادة:

تقر **نازك الملائكة** أن بداية الشعر الحر كانت في "سنة 1947 في العراق، ومن العراق، بل من بغداد نفسها، زحفت هذه الحركة وامتدت حتى غمرت الوطن العربي كله".

وقد عرف/ صاحب نشأة الشعر الحر إشكالية تلخصت في مسألة الريادة وإلى من يعود السبق في كتابة هذا النموذج الشعري الجديد، فقد تضاربت الآراء بين ريادة **السياب** في فتح باب الشعر الجديد، وبين **نازك الملائكة**، لأن كلا الشاعرين جاء بقصيدة على ضرب موسيقي جديد في سنة 1947، فوضعت **نازك الملائكة** قصيدة "الكوليرا" عندما ضرب الوباء مصر، والتي تقول فيها:

سكن الليل

أصغ إلى وقع صدى الأنات

في عمق الظلمة، تحت الصمت على الأموات

صرخات تعلو تضطرب

حزن يتدفق يلتهب

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤاد غليان

في الكوخ الساكن أحزان

في كل مكان روح تصرخ في الظلمات

في كل مكان يبكي صوت

هذا ما قد مزقه الموت

الموت الموت الموت

ثم وضع **بدر شاكر السياب** قصيدة على تفعيلة الرمل عنوانها "هل كان حبا"، من ديوان "أزهار ذابلة"، يقول فيها:

هل تسمين الذي ألقى هياما ؟

أم جنونا بالأماني؟ أم غراما؟

ما يكون الحب؟ نوحا وابتساما

لقد وضع هذان الشاعران مثلما اتفقت العديد من المراجع الأدبية والنقدية التي أرخت للشعر المعاصر حجر الأساس للشعر، وبعدهم استطاع الشعراء ومن خلال الشعر الحر أن يفجروا الإحساس العربي في زمن انقلاباته السياسية وتوتراته الاجتماعية، ومكنوا عن طريق التجريب من إقرار شكل جديد، ولعل من أبرز رواد هذا الشعر نجد: صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، أدونيس، خليل حاوي، نزار قباني، فدوى طوقان، محمود درويش، سميح قاسم، محمد الفيتوري، وغيرهم.

3-خصائص ومميزات الشعر الحر:

-الوحدة العضوية: فلم يعد البيت هو الوحدة وإنما صارت القصيدة شكلا كاملا متماسكا.

-وحدة التفعيلة: بمعنى عدم التقييد بعدد معين التفعيلات العروضية في كل سطر شعري، إنما يمنح للشاعر الحرية في تنويع التفعيلات (الحرية في عدد التفعيلات التي يحتويها كل سطر).

-التحرر من نظام القافية .

-الابتعاد عن القوالب القديمة.

-استخدام الرموز والأساطير، الإيحاء.

-الجنوح إلى الغموض.

-اقتناص المفردة الشاعرية المعبرة بعيدا عن كلمات قاموسية قديمة لا تناسب تطلعات الشاعر.

بعض المراجع المعتمدة في المحاضرة:

-نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3: 1967.

-طيب حمايد، هندسة القصيدة العربية المعاصرة، مجلة التحبير، مج: 3، ع: 4، ديسمبر 2021.

-سويزف فريدة، مظاهر التجديد في القصيدة العربية (قراءة في الشعر العربي المعاصر بدر شاكر السياب أنموذجا)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع: 15.

-كمال لعور، قصيدة التفعيلة في الشعر العربي المعاصر (اغراءات التجريب ومتاهات التغريب)، مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية.

-ضيف عبد المنعم الفرجاني، الخطاب الشعري في شعر نازك الملائكة قصيدة الكوليرا أنموذجا (دراسة سيميائية في ضوء نظرية غريماس)، مجلة كلية اللغة العربية، المنوفية، ع: 37، يونيو 2022.